تاريخ العلاقات الدولية

المحاضرة الأولى الثلاثاء 21 / 11/ 2017

العلاقات الدولية في الأسلام

اسس العلاقات الدولية في الأسلام

الأصل في العلاقات الدولية في الأسلام هو السلم قال تعالى **۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61)** هذه الآية تدل على مشروعية المعاهدة كلما اقتضى الموقف عقدها ، اما الحرب فتكون ضرورة أوجبها قانون الدفاع عن النفس ، والعقيدة ، والحرية الدينية ، وقد حض الأسلام على الجهاد ، لكن لم يكن الجهاد أو الحرب الدائمة العلاقة الوحيدة بين المسلمين وغير المسلمين ، فالجهاد مشروط بقصد حماية الدعوة السلامية ، والدفاع عن النفس ، وعدا ذلك يمكن ان تقوم الدولة الأسلامية بأقامة علاقات ودية بالوسائل الدبلوماسية مع الأمم والشعوب المحيطة بها

شرعت فريضة الجهاد للحرب المشروعة لأن مقاصدها دفع الظلم ، ومنع الفتنة في الدين ، وكفالة حرية العقيدة والمواطن للناس ، لذلك احتاجت الدولة الأسلامية الى السيف في مقارعة الأمم المحيطة بها كلما اقتضت احوال الدعوة الأسلامية .

وقد قسم الفقهاء اساس العلاقات الدولية في الأسلام الى دار السلام ،ودار الحرب

1- دار الأسلام : هناك اكثر من تعريف لدار الأسلام منها :

-هي الدولة التي تُحكم بسلطان مسلم ، وتكون المنعة والقوة فيها للمسلمين ، وهذه الدار يتوجب على المسلمين الدفاع عنها ، فالجهاد فرض كفاية اذا لم يدخل العدو الديار ، اما اذا دخل الديار يكون الجهاد فرض عين ، فعلى الجميع مقارعتة ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

-ودار الأسلام ايضا هي الأرض التي تظهر فيها احكام الأسلام .

-وعند الفقهاء يعبر عن الدولة بدار الأسلام والتي تضم جميع البلاد الإسلامية التي يحكمها المسلمون ، ويطبقون فيها الشريعة الإسلامية .

من الجدير بالذكر لم يشترط الفقهاء لعد دار اسلام، الا ان يتم حكمها من المسلمين وتطبق احكام الشريعة فيها، فليس من شرط دار الأسلام ان يكون اهلها او اكثرهم مسلمين ،فيجوز ان تكون دار اسلام حتى وان لم يكن فيها مواطن مسلم مادام حاكمها مسلم ويطبق احكام الأسلام .

-ان الأرض التي يطبق سكانها الشرع الأسلامي تعد ارضاً اسلامية او دار اسلام .

-يرى البعض ان اي اقليم يرضى سكانه (بالاسلام )دون قيود تسود السلطة الإسلامية الذميين فهو دار اسلام .

-ويشترط اخرون لإدخال الإقليم الإسلامي في دار الاسلام ان يكون في وسع المؤمن تأدية فروضه الدينية بحرية ، كأقامة صلاة الجمعة ، وصلاة العيدين في الإقليم .

2- دار الحرب : هي الدولة التي لايكون فيها السلطان والمنعة للحاكم المسلم ولا يكون عهد بينهم وبين المسلمين يرتبط به المسلمون ويقيدهم ، فالعبرة عند اصحاب هذا الرأي الى المنعة والسلطان . فمادامت الدار خارجة عن منعة المسلمين من غير عهد ، فهي دار حرب يتوقع منها الأعتداء فقد امر الله تعالى المؤمنين بأخذ الحذر ويكونون على أهبة الأستعداد للقتال لدفع الأعتداء .

-يرى بعض الفقهاء ، ان كون السلطان والمنعة لغير المسلمين لايجعل الدار (دار حرب ) ، بل لابد من تحقيق شروط ثلاثة لتصبح الدار (دار حرب )وهي :

الشرط الأول : الاتكون المنعة والسلطان للحاكم المسلم .

الشرط الثاني : ان يكون الأقليم متاخماً للديار الإسلامية بحيث يتوقع منه الأعتداء على دار الأسلام ، ويترتب على هذا الشرط ان تكون الصحاري المتاخمة للبلاد الاسلامية ليست دار حرب مالم تكن ممتنعة على المسلمين بقوة اخرى لايمكن للحاكم المسلم ان يفرض سلطان الأسلام عليها كذلك البحار المحيطة التي تتصل بالدار الإسلامية لاتعد في قبضة غير المسلمين مالن تكن ممتنعة للحاكم المسلم .

الشرط الثالث : الا يبقى المسلم او الذمي مقيما في هذه الديار بالأمان الأسلامي الأول الذي مكن رعية المسلمين في الأقامة فيها .

وبتطبيق هذا الشرط تكون البلادالتي استولى عليها المسلمون وامنوا اهلها ثم اضطروا الى الجلاء عنها تحت تأثير حرب او عامل اخر ليست دار حرب لان الذين سيطروا عليها ابقوا المسلمين ورعايا الدولة الأسلامية مقيمين فيها بمقتضى الدولة الأمان الأول وذلك بلا ريب لايكون الا اذا سالمت هذه الدولة المسلمين وكان معهم سلام لا تعكره حرب ، واذا مانقضوا الأمان وحاربوا المسلمين ، فأنها دارحرب ولو اعطوا اولئك امانا جديدا .

وهذا الرأي يتفق في الأصل في ان العلاقات الدولية في الأسلام هو السلم لانه لايعد الدار( دار حرب ) الا اذا كان الأعتداء بالفعل بزوال امان المسلمين اة بتوقع الأعتداء بالمتاخمة اذ ان المتاخمة من غير عهد او ميثاق يحرم الأعتداء يجعل الحرب متوقعة في اي وقت . لكن اشتراط المتاخمة لتوقع الأعتداء اصبح غير موضوعي الآن .بسبب القدرة على التحكم في الأجواء بل حتى بالفضاء .لذلك لم يعد القتال يحتاج الى متاخمة فالقنابل الفتاكة تطورت بحيث تصل من اقصى الأرض الى اقصاها .

3-دار العهد : هو حقيقة اقتضاها الغرض العلمي وحققها الواقع ، وذلك لوجود قبائل ودول لاتخضع خضوعاً تاماً للمسلمين ، وليس للمسلمين فيها حكم ولكن لها عد محترم ، وسيادة على أرضها ، ولم تكن تامة في بعض الأحوال فكان اهل هذه البلاد يعقدون صلحاً مع الحاكم الإسلامي على شروط يفرضها الفريقين ، وهذه الشروط تختلف قوة وضعفاً وعلى مقدار حاجتها الى مناصرة الدولة الإسلامية .

ومن هذه القبائل ماكان الصلح فيها على اساس جعل المال يدفعه اهلها نظير حماية المسلمين لهم والذود عنهم ، كما حصل في صلح النبي صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران ، فقد امنهم النبي صلى الله عليه وسلم على انفسهم واموالهم من اي اعتداء عليهم سواء كان من المسلمين ام من غيرهم ، وكذلك فعل الصحابي ابو عبيد عامر بن الجراح مع اهالي حمص فقد امنهم وتعهد بأن يدفع عنهم اللرومان نظير مال يدفعوه اليه .

قال بعض الفقهاء يمكن ان تدخل دار العهد او دارالموادعة في عموم دار الإسلام ، لان المسلمين لم يعقدوا هذه العهود، إلا وهم اهل المنعة والقوة .

العلاقة بين دار الإسلام ودار الحرب

هناك وجهة نظر ترى بأن العلاقة بين دار الإسلام ودار الحرب تقوم على الحرب وذلك لان الدولة الأسلامية تعترف اعترافاً واقعياً لاشرعياً بـ( الدولة غير الأسلامية)، على اساس وجودها المادي المحسوس لأن ماهو محسوس لايمكن انكاره ويتحقق هذا الوجود المادي بالقوة والمنعة اي قدرة الدولة على بسط سلطتها على اقليمها ورعاياها ، وعلى اساس هذا الأعتراف الواقعي تعقد الدولة الأسلامية معها المعاهدات وما يترتب عليه من التزامات أو حل مشكلات معلقة او تنظيم امور تجارية فيما بينها وعلى اساس هذا الأعتراف تسمح لرعاياها بالدخول الى اقليم الدولة الإسلامية بالأمان وما يترتب عليه من أحكام وحقوق وواجبات بالنسبة للمستأمن ، ودار الإسلام وعلى اساس هذا الأعتراف الواقعي تعترف الدولة الإسلامية بسلطانها على افرادها داخل اقليمها وبتمثيلها لهم .

اما من ناحية الأعتراف الشرعي فالدولة الأسلامية لاتعترف اعترافاً شرعياً بوجود الدول غير الأسلامية والسبب في ذلك ان الدولة غير الأسلامية لاتقوم على اساس الإسلام ، ولا تتخذ اهدافه اهدافاً لها ولا شريعته قانوناً لها ومن ثم في في نظر الشريعة الإسلامية كيان باطل ، ولا يمكن الأعتراف بها من الناحية الشرعية ، لأن شرعية الشئ واحقيته تستمدان من مفاهيم الشريعة وأحكامها ، إذ ان الشريعة الإسلامية تعد ما لا يقوم على اساس معانيها باطلاً قطعاً . وتأسيساً على هذا فأن هذه الكيانات اي الدول غير الأسلامية التي تقوم غير الإسلام وترفض احكامه تعدها الدولة الأسلامية كيانات باطلة ، ولا ستحق البقاء ، ويجب بناء الدولة من جديد على الأسلام بان يكون حكامها مسلمين ، ويكون قانونها الشريعة الأسلامية . ويتم ذلك عن اختبار بأن تعتنق الإسلام وتطبق قانونه الإسلامي ، فضلاً عن التزامها بدفع الجزية .

**العلاقات الدولية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم**

ان اهم ما يشار الى العلاقات بين المسلمين والمشركين خلال هذه المرحلة هو عقد الرسول صلى الله عليه وسلم (صلح الحديبية ) في السنة السادسة للهجرة ، وقد تضمن عدة بنود:

1-اعتراف قريش بالمسلمين طرفاً متساوياً .

2-فتح مجال للرسول صلى الله عليه وسلم لعقد تحالفات مع القبائل التي لم تكن تطمئن لمحالفة قريش لوجود الكعبة بمكة ، وخير دلالة على ذلك اعلان خزاعة حلفها للرسول صلى الله عليه وسلم بعد هذا الصلح مباشرة .

3-تيسر الوقت للمسلمين لنشر دعوتهم بأمان .

4-السماح للمسلمين بزيارة البيت الحرام بعد عام ، والبقاء بمكة ثلاثة ايام .

5-تكون مدة الصلح عشرة اعوام .

فصلح الحديبية انطوى على دلالة دبلوماسية واضحة فقد حمل في طياته اعترافاً ضمنياً من المشركين بالدولة الناشئة للإسلام ، وهو اعتراف غير مسبوق به من قريش بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم كن ثائراً او متمرداً على حكمها ، لان الصلح المهادن لايعقد بين الدولة والثائرين عليها، وانما يعقد بين هيئتين لهما شخصية قائمة وهذا اول نصر لدولة السلام من حيث كيانها السياسي وقوامها الدولي .

كما وفر صلح الحديبية فرصاً ثمينة للمسلمين ، فعندما حصل الأتفاق اختلط اهل مكة بالمسلمين ، وجاءوا الى المدينة ، وجاء المسلمون الى مكة ، واتصلوا بأهلهم واصدقائهم ، وغيرهم وشاهدو وسمعوا بصورة مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم واعلام نبوتة ، وحسن سيرته فمالت انفسهم الى الأيمان حتى بادر البعض منهم الى اعتناق الإسلام قبل فتح مكة مثل خالد بن الوليد ، وازداد المشركون بالتوجه نحو الأسلام ، فلما كان يوم الفتح اسلموا كلهم مما ساعد المسلمين على نشر الأسلام في جزيرة العرب .

**علاقة اليهود بالمسلمين**

لم تتمكن اليهودية من اقتلاع الوثنية في شبه جزيرة العرب بل انها ساعدت على بقائها فعندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان عليه ان يحسم امر العلاقة مع اليهود ، فوادعهم على دينهم من اجل ان يتفرغ الى ترتيب أوضاع المسلمين ، وقد اثار النجاح الذي حققه الإسلام في المدينة حفيظة االيهود وكانوا اول من اصطدموا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، لنهم اول من اغرى المنافقين بالنفاق ، وبثوا الريبة والشكوك ، وايقظوا روح التمرد والكيد ، وغذوا كل ما يعكر تقدم الأسلام وانتشارة ، وكان لليهود دور كبير في نماء المنافقين ، وقوتهم والأذى البالغ وتحالفهم مع قريش .

ظن اليهود ان النبي صلى الله عليه وسلم سيجعلهم خارج نطاق دعوته معتبرين انفسهم اهدى من ان تشملهم دعوة الإسلام مع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمل دخولهم في دينه وانضوائهم تحت رايته ، بل كان اليهود يرون ان من حقهم ان ينتظروا انضمامه اليهم لاسيما عندما رأوه يعلن ايمانه بأنبيائهم وكتبهم بلسان القرآن ويجعل ذلك جزاً لا يتجزأ من دعوته . لكن خاب ظنهم عندما رأوا ان الرسول يدعوهم بلسان القران الكريم بالدعوة الأسلامية ويندد بهم بعدم اسراعهم الى الأستجابة للدعوة لموقفهم موقف الأنقباض والتعطيل والتناقض فشعروا بالخطر الذي يحدق بمركزهم ومصالهم وامتيازاتهم ز فيهود خيبر كانوا يحرضون القبائل وبقومون بجمع الأحلاف ضد المسلمين ويقذفون الأسلام بالتهم وايواء اعداء المسلمين ويتربصون الغدر بالمسلمين كلما حانت لهم الفرصة لذلك شكل اليهود موطن خطر يهدد المسلمين في الشمال ، وبما ان الهدنة حرمتهم من معاونة قريش لذلك عملو على استمالة غطفان لمعاونتهم عندما يتهددهم الخطر .

ومن الأسباب الغير مباشرة للقضاء على اليهود نهائياً هو للتخلص من اعداء المدينة في المنطقة الشمالية لتكون منطقة امينة عندما يحين موعد محاسبة قريش ،استطاع المسلمون من فتح حصون البدو الواحد بعد الآخر حتى تم القضاء على اليهود عسكرياً في الجزيرة العربية اما حصنا الوضيح والسلالم فكان آخر حصنين منيعين لليهود حيث طلبوا الصلح من النبي صلى الله عليه وسلم على ان يحقن المسلمون دمائهم ، فقبل النبي بشروطهم وابقاهم على ان يكون لهم نصف ثمرها مقابل عملهم في ارضهم لأن موقف المسلمين لم يكن يساعد على الأستغناء عن بعض قوانهم للقيام بزراعة الأرض .

مثل صلح خيبر كسباً سياسياً وعسكرياً للدولة الأسلامية الجديدة كما كان كسباً لها من الناحية الأقتصادية فموارده القليلة كانت تدل على فهم النبي لأحوال الزراعة والأقتصاد في عهده واموال الأيدي العاملة ، وتوزيع العمل بينها ،فقد ابقى لأهل خيبر أرضهم التي صارت اليه بحكم الفتح ، على ان يعاملهم في الأحوال على النصف ، اي انهم يعملون في الأرض لما لها من الخبرة بشؤون الزراعة على ان يؤدوا للمسلمين نصف ثمرها ويبقى النصف الآخر جزاء قيامهم بالعمل .

بعد استقرار اوضاع المسلمين بعد صلح الحديبية ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم عدة سفارات الى الملوك والحكام يدعوهم الى الإسلام ،فالله تعالى ارسلة الى الناس اجمع ولدفع الكفر عن الأرض ، فالمطلوب من المسلم دعوة اهل الكفر والشرك الى الله تعالى ودفع الهلاك والعذاب عن المسلمين ، فارسل رسله الى النجاشي ملك الحبشة وقيصر ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، والمقوقس عظيم مصر وامير بصرى وامير دمشق وغيرهم ، كانت غاية الرسول صلى الله عليه وسلم اشعار الملوك بأن الأسلام هو دين رسالة وليس هدفه تهديد الملك وازالته بقدر ما يمثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد اشعرت المذكرات الدبلوماسية الملوك بأنهم باقون على ملكهم اذا ما اسلموا وحكموا بحكم الإسلام وكذلك اشعرت الدولة الإسلامية بأن الإسلام دين حضارة ومعاصرة ، ويستخدم الوسائل الدبلوماسية لمعالجة الأمور بين الدول . وقد تمكن الرسول (ص) بواسطة مبعوثيه استطلاع احوال الدول التي ارسل اليها (المذكرات الدبلوماسية )واصبح لديه العلم حول ما يحيط به ، كما حققت المذكرات الدبلوماسية انتشار الدين الأسلامي بشكل واسع وهذا الأنتشار لم تحققه وسيلة اخرى. وكان من نتائج نجاح هذه المذكرات في مخاطبة الملوك والأمراء ان استمر تبادلها حتى بعد دخولهم الأسلام ، وبذلك اصبحت المذكرات الدبلوماسية الوسيلة المهمة في التوجيه ومعالجة الأمور، وان استخدامها لنشر الأسلام خارج المدينة اخذ يعني عالمية الأسلام اذ لم يكن الأسلام ديناً للعرب فقط بل للناس اجمع .

وكان النبي (ص) يستخدم الكلام اللين في التفاوض ويبتعد عن الغضب والعنف والتشدد قال تعالى((**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ**)) اي لو كنت قاسيالتفرقوا عنك

لذا يبتعد المتفاوض عن الغضب فقد يواجه حالات تثير غضبه مما يدفعه الى الخروج عن الهدف الذي يفاوض من اجله ويصبح حاد المزاج لايستطيع السيطرة على نفسه فلابد من كتم الغيظ والتصرف بحكمة قال الرسول (ص) (( ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب )) .

في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت العلاقات الدولية قائمة على اساس وجود دولتين كبيرتين هما دولة فارس ودولة بيزنطة (الروم ) .

فأما الفرس فأخذوا يتوغلون في الشرق الأدنى منذ سنة 610م ، فاستولو على على انطاكية اكبر مدن الأقاليم الشرقية للدولة البيزنطية ثم استولوا على دمشق واتجهو شمالاً حتى تمكنوا من الأستيلاء على بيت المقدس ودمروا مدينة القدس كان لهذا العمل رد فعل خطير في دولة الروم ولاسيما ان الصليب المقدس الذي يعده النصارى اثمن المقدسات الدينية الذي استولى عليه الفرس ونقلوه الى عاصمتهم المدائن ولم تقتصر غارة الفرس على الشام وفلسطين بل امتدت سنة 612م الى آسيا الصغرى حتى بلغت مضيق البسفور ، حيث عسكر الفرس تجاه القسطنطينية ، وبذلك تعرضت عاصمة بيزنطة لزحف العدو من جهتين ، اذ زحف الفرس عليها من الشرق ، وزحف الصقالبة من الشمال وكان الصقالبة الذين هم سلاف قد استولوا على معظم الإمبراطورية في اوربا ، فاصبح الجزء الأكبر من شبه جزيرة البلقان ولاسيما داخلها اقليماً صقليا، وشرع الفرس بغزو مصر فسقطت الأسكندرية سنة 619م ولم تلبث مصر بأسرها ان اصبحت بأيدي الفرس .

اما امبراطورية الروم فقد بدأ هرقل بأجراء اصلاحات عسكرية شاملة أهمها اعادة تنظيم الجيش وقدر هرقل ان يقود الحرب بنفسه ضد الفرس . وفي نيسان من العام 622م غادر هرقل العاصمة ، وعبر اسيا الصغرى ، وفي خريف العام 622م شق طريقه الى ارمينيا وتقابل الجيشان البيزنطي والفارسي على ارضها ، فانتصر الروم البيزنطيون على الفرس انتصاراً حاسما ، وبذلك تحقق اول هدف من اهداف هرقل هو تخليص آسيا الصغرى من الفرس ، واستطاع الروم من الأنتصار على الفرس في معارك طاحنة في ارمينيا خلال سنتي 624-625م ، وفي سنة 627م زحف هرقل جنوباً ، واستولى على مصر سنة 628م ثم عقد الصلح بين الطرفين واستطاع هرقل تدريجيا من تحرير الأقاليم البيزنطية من الفرس ودخل هرقل القدس بعد ان اعاد صليبها من الفرس .

اراد الروم غزو حدود العرب الشمالية ، فتهيأ لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل جيشاً قوامه ثلاثون الف جندي وسار بهم نحو تبوك وكان الروم قد بلغها امر هذا الجيش وقوته فآثرت الانسحاب بجيشها ليحتمي داخل بلاد الشام ولما انتهى المسلمون الى تبوك ، وعرف النبي امر انسحاب الروم وعلم ما اصابهم من خوف آثر ان يتبعهم داخل بلادهم واقام عند الحدود يناجز من شاء ان ينازله ويقاومه فأقبل( يوحنا بن رؤية صاحب آيلة احد الأمراء النصارى الموجودين في الحدود وصالح الرسول صلى الله عليه وسلم واعطاه الجزية وارسل الرسول صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى (دومة ) وعرض على اميرها الإسلام فأسلم ، واصبح حليفاً وبذلك استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تأمين حدود الجزيرة الشمالية .